من
تراث الرواد

بعثة عسكرية بولونية فى مصر
فى عهد محمد على

أ. د. محمد فؤاد شكرى

بعثة عسكرية بولونية فى مصر فى عهد محمد على(*)

نال تاريخ الجيش المصرى، فى عهد محمد على، عناية كبيرة من جمهرة الكتاب والباحثين، حتى أصبح لا يخلو مقال من ذكر الجيش وسرد قصة الفتوح المصرية العظيمة فى الوقت الذى ارتفع فيه ذكر هذه البلاد عاليًا. وكان هدف مؤسس امبراطوريتها الكبيرة إنشاء الدولة المصرية المستقلة الحديثة. ولذلك فإنه من المتعذر على الكاتب إذا أراد أن يعرج فى حديثه على الجيش المصرى، فى عهد محمد على أن يجد طريفًا يذكره، أو قولا لم يسبقه إلى قوله غيره من أفاضل الكتاب وجهابذة الباحثين. ومع ذلك فقد يكون موضوع البعثة العسكرية البولونية التى حضرت إلى مصر فى عهد محمد على من الموضوعات التى لم تنل نصيبًا ظاهرًا من اهتمام المؤرخين؛ بالرغم من طرافة تاريخ هذه البعثة واتصاله بجملة من المسائل التى ظهرت فى أفق السياسة المصرية والأوربية فى ذلك الحين. ومن أهم هذه المسائل مسألة إنعاش الأمبراطورية العثمانية التى اعتمد عليها محمد على فيما كان يريد به استمالة الدول الأوربية إلى الموافقة على إنشاء ملكه العضود ودعم أركان دولته المستقلة؛ كما أن تاريخ البعثة البولونية يكشف كذلك عن ناحية متصلة بتنظيم الجيش المصرى لا يمكن إغفالها، لما لها من أهمية ظاهرة فى تنسيق العمليات العسكرية خلال الحروب وما يترتب على ذلك قبل أى شىء آخر من المحافظة على سلامة الجند المشتبكين فى المواقع والمعارك وإنقاص خسارة الجيوش فى الأرواح إلى أدنى حد مستطاع حتى لا ينضب معين الرجال الصالحين للتجنيد؛ ونعنى بذلك ضرورة إنشاء هيئة أركان حرب عاملة حقيقية.

بيد أنه لإدراك هذا كله لا غنى عن معرفة الأسس التى قام عليها الجيش وجرى بمقتضاها تنظيمه من وقت أن تسلم محمد على أزمة الحكم فى البلاد إلى وقت مجىء البعثة العسكرية البولونية. فقد أشار البارون دى بوالكمت -Bois

(*) مجلة كلية الآداب- العدد الثامن- المجلد الأول، مايو ١٩٤٦ .

lecomteإلى السبب الجوهرى الذى جعل محمد على يحتفظ بجيش كبير فقال فى تقرير له إلى حكومته (فى ٢ يوليه ١٨٣٣): إن طموح الباشا ورغبته فى المحافظة على مركز الولاية موطدًا ومدعم الأركان، ثم طبيعة الممتلكات التى تتألف منها امبراطوريته، كل ذلك جعل محتما عليه أن ينشىء قوة كبيرة؛ استطاع بفضلها الاستيلاء على مصر والنوبة وسنار وبلاد العرب وكريت والشام. وزيادة على ذلك فقد أصبح من واجبه الاحتفاظ بقوات كبيرة فى كل مكان كان من المنتظر أن يحدث فيه اصطدام مع الأهلين بسبب احتكاره الحكومى، وذلك حتى لا يكون التعصب أو اختلاف الرأى أو الرغبة فى خدمة المآرب أو المصالح الخصوصية أو غير ذلك من الدوافع سببًا فى تحريك الثورة ضد حكومته بين شعوب امبراطوريته الواسعة.

ومع ذلك فإن مجرد وجود هذه القوات الكبيرة أو الجيش وحده لم يكن كافيًا فى الحقيقة لضمان الاستقرار واستتباب الأمر للعاهل العظيم فى امبراطوريته الواسعة، بل كان تنظيم هذا الجيش وفق الأساليب الحديثة ضروريًا حتى يستطيع التغلب على أعدائه، وهؤلاء لم يكونوا كلهم من بدو بلاد العرب أو رجال القبائل فى السودان، بل كان منهم العثمانيون والأوربيون، الذين لا يستطيع الصمود أمامهم أو الانتصار عليهم فى قتال سوى الجيش النظامى. حقيقة أحرز الباشا جملة انتصارات باهرة فى ميادين النوبة وسنار والحجاز بقوات هى خليط من الترك والألبان والدلاة والمغاربة، وهى قوات لا يجمع بينها سوى تناول المرتبات من الباشا ثم انتظار الأسلاب والغنائم فى أثناء المعارك وبعدها، ولا تربط بين أشتاتها المثل العليا الوطنية أو القومية؛ وليس معنى هذا أن الباشا كان راضيًا، بالرغم من هذه الانتصارات، عن وجود هذه القوات التى لا تعرف النظام ولا سيما فإنه لم يكن يتوقع لمثل هذا الجيش إذا اشتبك فى حروب المورة والشام الانتصار على جند من الأوربيين خبروا الأساليب والأنظمة الحديثة التى تدربت عليها جيوش القارة فى أثناء المعارك التى خاضت غمارها إبان الحروب النابليونية. ولذلك لم تكن رغبة محمد على فى إنشاء جيش كبير

أقل تأصلا فى نفسه من رغبته فى تدريب هذا الجيش على الأساليب والنظم الحديثة. ومن هنا كان اهتمامه بتأليف (النظام الجديد) مع ما يتبع ذلك من استخدام المدربين والمعلمين (أو التعليمجية)؛ ثم استقدام البعوث العسكرية الأجنبية وإنشاء المؤسسات والمدارس لتخريج ضباط الجيش وقواده.

واستطاع محمد على، كما هو معروف، أن ينشىء النظام الجديد بعد صعوبات جمة؛ واستخدم نخبة من الضباط و(التعليمجية) الذين كسبوا خبرة ومرانًا فى الميادين الأوربية، أمثال شاتى Chatis ودوميرج Doumergue وكيسون Caisson وبوسا Boussa وسيفان Sevin وداراجون Daragon ومارى Mari ويعرف أيضًا باسم بكيرأغا-- كادو Cadot ثم سيف Séve أو سليمان باشا الفرنساوى وهو أشهرهم.

وحوالى ١٨٢٠ أنشئت مدرسة المشاة العسكرية لتخريج الضباط. وفى عام ١٨٢٤ استقدم محمد على البعثة العسكرية الفرنسية برئاسة (البارون بوايبه) Boyer. وكان من أثر مجىء هذه البعثة إلى مصر أن تشكلت ست ألايات جديدة من المشاة، وأنشئت فرق جديدة من المهندسين العسكريين، وبدأ تنظيم المدفعية، وظهرت العناية بملابس الجند، وتزويدهم بالأسلحة الجيدة الصالحة للاستعمال، ثم تشديد المراقبة على المدربين أو (التعليمجية) وتوجيه الانتباه إلى مساوئ الطريقة التى كان الباشا يتبعها فى تجنيد الأهلين؛ ولو أن الباشا لم يعدل عن "فرز" المجندين فى معسكرات التعليم إلا فى عام ١٨٣٠ أى بعد عودة (بوايبه) إلى فرنسا بثلاث سنوات، وذلك عندما نجح كلوت بك فى تنظيم الخدمة الطبية بشكل جعل من الممكن توقيع الكشف الطبى على المجندين فى الأماكن التى يجمعون بها، أضف إلى هذا توثيق إشراف ديوان الجهادية على المعامل والمصانع العسكرية، ثم تعيين مديرين جدد أكفاء لترسانة القلعة. ولعل أهم ما أشار به (بوايبه) فى هذه الآونة تأسيس مدرسة أركان حرب فى الخانقاه (مايو ١٨٢٥)، لاختيار الضباط الصالحين للقيادة، كما نال موافقة الباشا على تعيين أحد ضباطه قائد أركان حرب. فاختار محمد على لهذا المنصب عثمان نور

الدين. وقد تشكلت هيئة أركان الحرب فى جهاد آباد وألحق بها الفوج الأول من متخرجى مدرسة أركان الحرب التى كانت تتألف هيئتها من ثلاثة مكاتب: واحد للمراسلات العامة والأوامر، وآخر لخدمة المعسكر فى جهاد آباد والبوليس، وثالث لحفظ الوثائق الفرنسية. وظاهر من هذا التنظيم أن عمل هيئة أركان الحرب هذه كان محدودًا ولا يحقق الأغراض المنتظرة من إنشائها.

ولعل أهم ما حدث بعد ذهاب بواييه - أغسطس ١٨٢٦- كان إدخال النظام الجديد فى قوة الفرسان المصرية تحت إشراف الضابط پولان دى تارليه Paulin de Tarlé من أوائل رجال البعثة الفرنسية، ثم كان من بين الذين عاونوه بعد ذلك نويل فاران Noel Varin وفى عام ١٨٣٠ أمكن تشكيل سبعة آلايات من الفرسان النظاميين وفق الأنظمة الفرنسية. كما تأسست فى أوائل عام ١٨٣١ مدرسة للفرسان فى الجيزة، تحت إشراف فاران. وقد تبع تنظيم قوة الفرسان إعادة تنظيم مدرسة الطب البيطرى للعناية بالخيول خاصة. وقد أسست هذه المدرسة فى بادئ الأمر فى رشيد، ثم استقرت بأبى زعبل بالقرب من مدرسة الطب البشرى، وكان المشرف عليها هاموت Hamout، ثم انتقلت فى أوائل عام ١٨٣٧ إلى شبرا.

وقبل الحرب الشامية الأولى بلغت قوة النظام الجديد أى جيوش الباشا النظامية فى مايو ١٨٣١ حسب تقدير دى فافيه de Faviers، أحد ضباط الهوسار الفرنسيين، (٤٢,٩٨٤) جنديا منهم ٣٣ ألفًا من المشاة و(٦,٣٨٤) من الفرسان، و(٢٤٠٠) من المدفعية، خرج منهم مع إبراهيم باشا فى غزو بلاد الشام ستة آلايات من المشاة وأربعة من الفرسان عدا المدفعية. وأبلى النظام الجديد فى هذه الحرب السورية الأولى بلاء حسنا وأحرز إبراهيم انتصارات باهرة سرعان ما وصلت أنباؤها إلى أوربا. فكان نجاح النظام الجديد منشأ التدبيرات التى اتخذت فى باريس لإرسال البعثة العسكرية البولونية إلى مصر برئاسة الجنرال البولونى هنرى دمبنسكى Henri Dembinskei.

وتاريخ هذه البعثة جزء فى الحقيقة من تاريخ الجهود التى بذلها المهاجرون البولونيون عند فشل ثورتهم الوطنية ضد القيصر نيقولا الأول للانتقام من الروسيا وذلك بمحاولة تأليب الدول ضدها، أو الانضمام إلى جيوش أعدائها، أو تحريك الثورة الداخلية خصوصًا فى بولونيا، أو تأييد الدولة العثمانية فى كفاحها ما دامت فى حرب مع الروس، أو تأييد محمد على فى حربه ضد السلطان إذا ارتمى الأخير فى أحضان الروسيا، أو تأليف جبهة متحدة من الباشا والسلطان لمقاومة الروسيا وهزيمتها فى حرب شديدة قاسية إذا منعت الدول باشا مصر من "إحياء الإمبراطورية العثمانية" وتعذر على السلطان وحده أن يرد المطامع الروسية عن القسطنطينية.

وكانت الأمة البولونية التى تجزأت بلادها فى القرن الثامن عشر بين روسيا والنمسا وبروسيا حتى اختفت من عالم الوجود دولتها القديمة الوطنية، تتوق دائما إلى استعادة حياتها المستقلة السابقة والتحرر من النير الأجنبى، وعقدت آمالها على نابليون لإحياء بولنده وبعثها من جديد، ولكن نابليون اكتفى بأن ينشىء غراندوقية وارسو، وبعد سقوطه ارتبط مصير بولنده بما يتخذه ممثلو الدول فى مؤتمر فينا (١٨١٥) من قرارات تخدم بها مصالحها، فاستولت روسيا على بولنده ما عدا أجزاء منها أعطيت إلى كل من بروسيا والنمسا. وكان القيصر اسكندر الأول فى هذه الآونة لا يزال صاحب ميول حرة، فأنشأ فى البقية الباقية منها مملكة أضحى هو ملكها ومنح البلاد دستورًا وظهر كأنما قد انطوت صفحة هذه المسألة نهائيًا، لولا أن القيصر نفسه بدأ ينزع الحقوق التى أعطاها للبولونيين ويطمس حرياتهم، ثم اشتدت محنتهم عندما تولى القيصر نيقولا الأول وأراد أن يجعل بولنده روسية لحمًا ودمًا، فاشتط فى غلوائه وأغرق فى رجعيته. وقابل البولونيون هذا العمل بتأليف الجمعيات السرية وتهيئة البلاد للثورة (١٨٢٨) حتى إذا اندلع لهيب ثورة يوليه ١٨٣٠ فى باريس، وهى الثورة المشهورة التى أطاحت بعرش ملك فرنسا شارل العاشر، تأثر بها البولونيون تأثرًا عميقًا وقرروا بدورهم القيام بالثورة. وكان عزم القيصر على استخدام

الجيش البولونى فى حرب ضد فرنسا وخوف الوطنيين من الفشل إذا حدث إبعاد هذا الجيش الوطنى من البلاد السبب المباشر فى إشعال نار الثورة فى وارسو فى ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ وتشكيل حكومة مؤقتة برئاسة الجنرال شلوبيكى Chlopicki، ولكن رؤساء هذه الثورة لم يكونوا على قدر كبير من المهارة والكفاءة، ثم انقسم الزعماء على أنفسهم فاستطاع القيصر أن يقضى على الثورة، ودخل الروس العاصمة فى سبتمبر من العام التالى، واضطر البولونيون الوطنيون إلى مغادرة أرض الوطن والالتجاء إلى بلاد أخرى ١٨٣١ , وفى باريس اجتمع عدد كبير من هؤلاء المهاجرين تحت زعامة أحد أمرائهم الوطنيين البرنس آدم جورج تزارتوريسكى Adam Georges Tzartoryski، الذى اختاره رئيسا لحكومة بولنده الوطنية فى المهجر كما تألفت للإشراف على نشاط المهاجرين البولونيين هيئة بولونية وطنية على رأسها الجنرال دورنيكى Dwer-nicki.

وفى وقت استقرار المهاجرين البولونيين فى باريس كانت جيوش إبراهيم الظافرة قد غزت بلاد الشام وذاعت أنباء الانتصارات فى أوربا وظهر ضعف الدولة العثمانية وترددت الإشاعات خصوصًا فى أوساط هؤلاء المهاجرين فى باريس بأن باشا مصر أقدم على غزو الشام بناء على تفاهم سابق أو اتفاق سرى بينه وبين الروسيا لإذلال السلطان محمود الثانى وإضعاف الدولة، وخشى المهاجرون من وقوع الدولة العثمانية فى آخر الأمر فريسة فى أيدى روسيا، وعطف البولونيون على تركيا فى محنتها، فتفاوض زعيمهم البرنس تزارتوريسكى مع السفير العثمانى فى باريس نامق باشا بصدد ذهاب المهاجرين العسكريين إلى تركيا والتحاقهم بالجيش العثمانى كضباط ومعلمين. ولكن السلطان أمام انتصار إبراهيم باشا فى قونية ٢١ ديسمبر ١٨٣٢ وزحفه صوب القسطنطينية، ثم احتلال كوتاهيه وتهديد دار الخلافة ذاتها لم يلبث أن طلب النجدة من روسيا، فدخل الأسطول الروسى المياه العثمانية ووقف قبالة القسطنطينية فبراير ١٨٣٣، فقوض التجاء السلطان إلى روسيا مشروع المهاجرين البولونيين من أساسه.

ومع هذا فإن هؤلاء لم يفقدوا الأمل فى نجاة الدولة العثمانية، بل تقدموا فى هذه الآونة وكمحاولة أخيرة برأى له أهمية تاريخية فريدة ظهر فى وثائق ذلك العهد وتمسك به باشا مصر بعد ذلك فى أكثر مفاوضاته مع الدول كلما تأزمت الأمور بينه وبين السلطان العثمانى؛ هذا الرأى هو إحياء وإنعاش الإمبراطورية العثمانية ذاتها على أيدى محمد على نفسه. ذلك أن الدبلوماسية البولونية فى هذا الوقت العصيب من حياة الدولة العثمانية كانت تهدف إلى عقد السلام بين محمد على ومحمود الثانى على أساس أن يعين السلطان محمدا عليا صدرًا أعظما، فإذا اعتذر ذلك، نصح البولونيون الأتراك بأن يعزلوا السلطان وينادوا بمحمد على خليفة على المسلمين. وأما الغرض من هذا كله، فهو أن يتحد المسلمون- أو الأتراك- جميعا فى وجه العدو المشترك: الروسيا. وكان تأثر البولونيين المهاجرين بفكرة وجود محمد على فى القسطنطينية على رأس الإمبراطورية العثمانية بأجمعها كخطوة لا غنى عنها لإحياء هذه الإمبراطورية وإنعاشها، ومنع الروس نتيجة لذلك من الاستيلاء على القسطنطينية كبيرا لدرجة أن صار رجالهم يرددون هذا القول فى أحاديثهم وكتاباتهم. من ذلك ما ذكره أحد زعمائهم الجنرال بم Bem فى رسالة له إلى الوزير الإنجليزى بالمرستون فى ١١ مارس ١٨٣٤ تعليقا على ذهاب البعثة البولونية إلى مصر، فقال: إن رئيس هذه البعثة قد ذهب إلى مصر لاعتقاده أن باشا مصر يجب أن يسيطر على الإمبراطورية العثمانية بأجمعها عاجلا أو آجلا إذا كانت هناك رغبة حقيقية فى منع الروسيا من الاستيلاء على القسطنطينية.

وعندما أخفقت مساعى البولونيين ونصائحهم ووجدوا أن السلطان قد ألقى بنفسه فى أحضان روسيا، ولى البولونيون وجوههم شطر مصر، ورغبوا فى خدمة باشا مصر بدلا من السلطان العثمانى، وصاروا يفكرون فى اتخاذ مصر ذاتها قاعدة يدبرون منها الهجوم على روسيا، لأن مصر المستقلة، يمكنها وحدها مقاومة النفوذ الروسى فى القسطنطينية، وعلى ذلك فقد نصح البرنس تزارتوريسكى لمواطنيه أن يتصلوا بتلاميذ البعثة المصرية فى باريس، وأن

يتعرفوا على وجه الخصوص بالطبيب كلوت بك، وكان كلوت بك قد حضر إلى باريس مع البعثة الطبية التى أرسلت إلى فرنسا فى نوفمبر ١٨٣٢ .

وبالفعل حاول المهاجرون الاتصال بكلوت بك فى أثناء وجوده بباريس فى شهر فبراير ١٨٣٣ فقابله أحد أفرادهم فى منزل السيدة زوج بيسون Besson وفى أثناء الحديث صرح كلوت بك بأن الصلح الذى تسعى الدول لإبرامه بين الباشا والسلطان سوف يكون فى مصلحة محمد على، لأن الصلح سوف يجمع كلمة العرب، ولا يبعد أن يرى العالم فى ظرف سنتين أو ثلاث الخلافة القديمة وقد عادت إلى الوجود ثانية. فكان لهذا التصريح أثر كبير فى تشجيع المهاجرين على الذهاب إلى مصر. ووقع اختيارهم على هنرى دمبنسكى لهذه الغاية.

وقابل دمبنسكى "وكيل محمد على فى باريس"، محمد أفندى أمين "ناظر البعثة المصرية" بعد عبدى أفندى منذ أكتوبر ١٨٣١، ويقول عنه دمبنسكى إنه يتراسل دائمًا مع بوغوص يوسف "ولم يكن مكلفًا بمهمة سياسية". واستطاع دمبنسكى أن يستميل إليه محمد أمين، فكتب هذا رسائل إلى الإسكندرية يخبر الباشا بقدوم الجنرال البولونى، كما أنه وعد بأن يرسل إلى مصر كل ما يزوده به دمبنسكى من معلومات عن نشاطه وحياته. ثم أخبر محمد أفندى أمين، الجنرال دمبنسكى أن الباشا سوف يرسله عند وصوله إلى "جيش آسيا".

وعندما تقرر سفر دمبنسكى إلى مصر، زوده البرنس تزارتوريسكى بكتاب توصية إلى محمد على كما أوصت الحكومة الفرنسية ذاتها به خيرًا، وكتب دمبنسكى نفسه خطابًا إلى الباشا من باريس فى ٩ مايو ١٨٣٣ يعلن فيه عزمه على الحضور إلى مصر ويعرض خدماته عليه، ويذكر كيف "أن الشدائد التى قاستها بلاده جعلته يذهب إلى فرنسا، ثم انتظر طويلا حتى يرى أوربا تنفض عنها غبار الخمول وتنشط لوضع حد لمطامع الروسيا ولكن بدون جدوى، فعرض خدماته على السلطان، ما دام السلطان لا يرتمى فى أحضان روسيا؛ ولكن الذى يبدو، أن الباشا وحده هو الذى اختاره الله للاقتصاص من الحكومة

الروسية، ولذلك فإنه يعرض على الباشا خدماته، ويعتزم الذهاب إليه" . وبالفعل أتم دمبنسكى استعداداته على أن يصحبه فى رحلته هذه القومندان الليتوانى زميوث S'yemioth، ياورًا له والدكتور هاج Haage، وغادر الجميع باريس فى ٢٦ مايو ١٨٣٣ فى طريقهم إلى ليون ثم إلى مرسيليا . ومما يجدر ذكره أن دمبنسكى قبل سفره من باريس أصدر منشورًا إلى مواطنيه المهاجرين فى ٢٠ مايو ١٨٣٣ يشرح فيه الظروف التى دفعته إلى الذهاب إلى مصر للالتحاق بخدمة الباشا؛ فكان مما جاء فى هذا المنشور قوله إنه "حتى يعطى مواطنيه فرصة الكفاح من أجل وطنهم قرر الذهاب إلى "الرجل" الذى يبدو إلى جانب تحريره وتحرير رعاياه من المزاعم والأوهام القديمة، أنه قد اعتزم السير فى طريق الصدق والحق وبعث وطنه المتداعى من جديد!" ويقصد دمبنسكى بذلك تركيا .

وكانت الهيئة البولونية بباريس قد قررت منذ نهاية عام ١٨٣٢ أن ترسل ثلاثة ضباط إلى مصر، يحملون تعليمات فحواها أنهم إنما يذهبون إلى هذه البلاد لدراسة أحوالها وتهنئة الباشا على الانتصارات التى أحرزها فى حربه الشامية، وهؤلاء الضباط كانوا زولك Szulc من هيئة أركان الحرب، بنيوسكى Beniow-ski من الفرسان، أورليكى Orlicki من المدفعية، اختارهم الجنرال دورنيكى Dwernicki رئيس الهيئة نفسه؛ وغادر الثلاثة مرسيليا فى ٢ مايو ١٨٣٣، ووصلوا إلى الإسكندرية فى ٢١ يونيه.

وأما دمبنسكى فقد وصل إلى مرسيليا فى ٢ يونيه ١٨٣٣؛ وهناك علم بعقد صلح كوتاهية بين الباشا والسلطان، ولكن هذه الأخبار لم تيئسه لأن الروسيا كما قال سوف تعمل دائما لا نتزاع فوائد من هذا الصلح بشكل ينجم عنه تعقد الأمور، ومجال العمل متسع على كل حال فى مصر بطريقة من الطرق. وفى ٧ يونيه غادر دمبنسكى وصحبه مرسيليا على ظهر السفينة فينكتور Vincitor، إلى مالطة، فبلغها بعد ثمانية أيام؛ وهناك تأيدت لديه أخبار وقوع الصلح فى كوتاهيه فى ٥ مايو ١٨٣٣ ثم غادر مالطة بعد أيام؛ ووصل إلى الإسكندرية فى

١٥ يوليه؛ واستضافه القنصل الفرنسى ميمو Mimaut، وفى اليوم الثانى قابل بوغوص يوسف.

وفى هذا اليوم نفسه كتب دمبنسكى إلى البرنس تزارتوريسكى من الإسكندرية يصف مقابلته مع بوغوص وما دار بينهما من أحاديث؛ فقال إن بوغوص أخبره بوصول كتابه إلى الباشا، ثم مؤلفه عن حملة ليتوانيا- التى اشترك فيها دمبنسكى؛ ثم سيرته ترجمة حياته؛ وهذه كان قد كتبها أحد البولونيين، وأخبره أن الباشا، الذى أمر بترجمة مؤلفه عن حملة ليتوانيا إلى التركية، قد أعجب بشخصه، وأن الخطاب الذى أرسله إلى الباشا، وليست توصيات القنصل ميمو أو رسالة أمين أفندى، هو الذى جعل الباشا يرحب به.

وفى ٢٠ يوليه قابل دمبنسكى محمد على فى سرايه بالإسكندرية؛ وحضر هذه المقابلة كذلك زميوث والدكتور هاج؛ كما صحبه القنصل الفرنسى ميمو؛ وقابله الباشا مقابلة طيبة، ودار الحديث حول الروسيا وحول بولنده وكان الباشا حذرًا فى حديثه عن بولنده؛ وفهم دمبنسكى أن الباشا ينظر إلى قضية بولنده كقضية لا أمل فى نجاحها وقتذاك. وعندما تحدث دمبنسكى عن عدم وجود جيش كاف لدى الروسيا وأظهر أسفه لمجيئه إلى مصر بعد فوات الفرصة بسبب عقد الصلح، أجاب الباشا أنه لا يستطيع الدخول فى حرب ضد الروسيا، لأنه لابد من وجود مدافع كثيرة وعتاد لمتابعة حرب مثل هذه، ولا يتسنى ذلك إلا بأشياء ثلاثة: المال، المال، والمال دائمًا. ثم أضاف إلى ذلك "والآن وقد انتهينا من الحرب يجب من الآن فصاعدًا التفكير فى مسائل السلام مثل تنظيم البلاد وما شابه ذلك". وقال الباشا عند انتهاء المقابلة إنه يعتمد على دمبنسكى فى قبول العمل على تنظيم جيشه، كما طلب ذلك أيضًا من زميوث وهاج.

وفى ٢٥ يوليه كتب دمبنسكى إلى تزارتوريسكى "أن بوغوص يوسف أخبره أن الباشا وولده إبراهيم كانا يشعران من مدة بضرورة استدعاء أحد الجنرالات من الخارج حتى يتكفل بتنظيم الجيش على أساس التنسيق الكامل بين وحداته

وقواته المختلفة، وأن الباشا يريد أن يكلف دمبنسكى بهذا العمل، ويريده أن يذهب إلى سوريا لمقابلة إبراهيم باشا، وحيث يوجد هناك معظم الجيش العامل". وفى ٢٧ يوليه أقلع الباشا على ظهر الغليون المحلة الكبرى فى رحلته إلى كريت. ولكنه قبل مغادرته الإسكندرية كان قد أرسل إلى إبراهيم ٢٠ يوليه ١٨٣٣ يخبره بوصول دمبنسكى وبعزّمه على إرساله إليه "إذا رغب إبراهيم فى ذلك" أو استبقائه فى مصر لأن الباشا قرر الاحتفاظ به واستخدامه، وقد أجاب إبراهيم بالموافقة على إرساله. وفى اليوم التالى لسفر الباشا أبلغ بوغوص الجنرال دمبنسكى أن الباشا قد وافق على أن يقوم دمبنسكى بتشكيل هيئة أركان حرب للجيش وأن يستقدم لتشكيل هذه الهيئة الضباط الذين يريدهم. وكان من رأى دمبنسكى وقتئذ استقدام عشرين أو أربعة وعشرين ضابطًا بولونيا لتأليف هذه الهيئة.

وفى ٢٧ أغسطس ١٨٣٣ غادر دمبنسكى يصحبه زميوث وهاج الإسكندرية فى طريقه إلى الشام على ظهر السفينة كولمبيا- بقيادة القبودان مراد- فوصلوا إلى كسنلى Casanli، وهو ميناء صغير شرقى مرسين، فى ٢٧ أغسطس، ومنه ذهبوا برًا إلى طرسوس، ثم إلى أطنه فبلغوها فى ٢٩ أغسطس، ومكثوا بها إلى يوم ٢٢ سبتمبر. وفى أطنه قابل دمبنسكى إبراهيم باشا الذى رحب به، وبحث معه مسألة تنظيم الجيش، وأظهر استعداده لقبول العشرين ضابطًا الذين أرادهم دمبنسكى، بيد أن إبراهيم لم يلبث أن اقترح على الجنرال استدعاء ٤٠٠ ضابط بولونى لتوزيعهم على فرق الجيش المختلفة، ورجاه أن لا يستدعى ضباطًا لهيئة أركان الحرب، قائلا إن ضابطًا أو اثنين يكفيان لكل ألاى، ولما كان دمبنسكى يخشى من أن يثير وجود هذا العدد الكبير ٤٠٠ ضابط الشعور الدينى فى الجيش، كان جواب إبراهيم أن لا وجود للتعصب الدينى فى الجيش أو البحرية، وزيادة على ذلك فقد أراد إبراهيم أن يرسل هذه المقترحات الجديدة التى أدلى بها هو إلى والده فى مصر قبل البت فى هذا الموضوع نهائيًا.

وفى انتظار وصول جواب محمد على، صحب دمبنسكى إبراهيم باشا فى

حملة تأديبية ضد أحد الأمراء العصاة فى جبال الطوروس، وتوطدت فى أثناء هذه الرحلة أواصر الصداقة كما يقول دمبنسكى بينه وبين إبراهيم باشا حتى وصلا إلى الاسكندرونة، وهناك قابلوا زولك Zulc، بنيوسكى Beniowski وأورليكى Orlicki واثنين آخرين من البولونيين، فقدمهم دمبنسكى إلى إبراهيم باشا. ثم استمرت الرحلة إلى أنطاكية، ومنها إلى نهر الفرات عن طريق كلس وعينتاب، ثم ذهبوا إلى حلب. وهناك مكثوا شهرًا تقريبًا ووصل جواب محمد على، وظهر تغير إبراهيم من ناحية دمبنسكى.

أما محمد على فقد رفض فكرة إبراهيم، أى وجود ضباط بولونيين فى كل الفرق وبالعدد الكبير الذى اقترحه إبراهيم باشا، وقبل فقط أن يحضر ضباط بولونيين كمعلمين ومدربين فحسب، ومن جانبه رفض إبراهيم أن يعطى إلى العدد القليل ٢٠ أو ٢٤ ضابطًا الذى أراده دمبنسكى لتأليف هيئة أركان الحرب نفس المرتبات التى تعطى إلى الضباط الأتراك، وفرصة الترقية لزملائهم، واعتقد دمبنسكى أن السبب فى تمسك إبراهيم أنه لا يريد تأليف هيئة أركان حرب، يترتب على وجودها بسبب ما ينجم منه من تنسيق فى أعمال وحدات الجيش وفرقه المختلفة ضياع سلطة إبراهيم الشخصية وسيطرته على ضباط الآلايات وبقية القواد، وزيادة على ذلك فقد أصر القائد البولونى على أن لا يقبل أحد من البولونيين فى الخدمة إلا بناء على اختياره هو فقط وبموافقته. فكان تمسك الرجلين بوجهة نظرهما سببًا فى تبدل العلاقات بينهما.

ويعزو دمبنسكى هذا التغير كذلك إلى سعايات بعض مواطنيه ضده وخصوصًا زولك وبنيوسكى لدى إبراهيم مما جعل الأمور تتأزم لدرجة أن دمبنسكى لم يلبث أن قرر العودة إلى مصر حتى يعرض بنفسه الأمر على محمد على، ورفض أن يذهب إلى غزه لتدريب بعض فرق الفرسان هناك كما أراد إبراهيم. فكان هذا الاختلاف المعول الذى هدم مشروعات البولونيين وأدى إلى إخفاق البعثة البولونية العسكرية فى النهاية، وعدم تشكيل هيئة أركان الحرب التى اقترحها دمبنسكى لتنسيق أعمال الجيش وجهوده العسكرية، وكان هذا أهم

ما اقترحه دمبنسكى فى الحقيقة لإصلاح "النظام الجديد" فى وقت قال دمبنسكى إن الجيش كانت تسوده الفوضى لأنه لم تكن هناك هيئة أركان حرب أو ضباط رؤساء قومندانات، بل كان هناك فقط ألايات متفرقة، ولا وجود لوحدات أو فرق مؤلفة من ألايين تحت إمرة قائد، كما لا توجد أوامر يومية، ونتيجة لذلك فقد انعدم أى اهتمام بالرجال الذين يحصدهم الموت حصدًا بدون رحمة ولا شفقة.

وعندما رجع دمبنسكى إلى مصر فى ديسمبر سنة ١٨٣٣ كتب إلى محمد على رسالة طويلة عن مقابلته مع إبراهيم باشا ثم أعد قائمة بعدد الأعضاء الذين تتألف منهم هيئة أركان الحرب والضباط المعلمين فى قوات المشاة والفرسان وما يتكلفونه جميعًا من نفقات قدرها بمبلغ (٢٠٩,٦٠٠) فرنكا، واقترح على الباشا أن يستخدم ضابطين من الجنرالات البولونيين، ثم قدم مشروعًا مطولا "لتنظيم الجيش فى مصر والشام" ٢٩ ديسمبر ١٨٣٣، وكان أهم ما اشتمل عليه هذا المشروع إنشاء هيئة أركان حرب تضم ضباطًا بولونيين ثم إدخال إصلاحات فنية فى تشكيل الآلايات المشاة والفرسان والمدفعية، ثم تقسيم الجيش إلى ست لواءات، كل لواء يتألف من أربعة ألايات مشاة وألايين أربعة من الفرسان، وعدد من البطاريات المدفعية، ثم زيادة عدد الجيش النظامى إلى ١٢٠ر٠٠٠ فى وقت الحرب ٨٤ر٠٠٠ فى وقت السلم، وهذا عدا البدو والجنود غير النظاميين.

ولكن هذا المشروع لم ينفذ، ولم يلبث دمبنسكى نفسه أن اضطر إلى مغادرة البلاد بعد قليل وتضافرت عدة عوامل سببت إخفاق البعثة. ولعل أهم هذه كما تقدم كان سوء التفاهم بين دمبنسكى وبين إبراهيم باشا: فقد اعتقد إبراهيم علاوة على ما تقدم أن الجنرال البولونى تنقصه الخبرة العسكرية الكافية لأنه لم يصل إلى مراتب القيادة الكبيرة فى الحملات التى اشترك فيها، وقضى أغلب الوقت فى ليتوانيا- فى عزلة جميلة- بعيدًا عن الأعمال العسكرية والحروب العنيفة. أضف إلى هذا أن أحد مواطنى دمبنسكى البولونيين؛ وهو موزنيسكى

Mosgynski- potkanohi الذى التحق بخدمة إبراهيم باشا فى سوريا تحت اسم ناديربيك فى ديسمبر ١٨٣٢، كان قد اقترح على إبراهيم تعيين الجنرال شلوبيكى Chlopieki ، الذى تقدم ذكره، بدلا من دمبنسكى.

وزيادة على ذلك فقد كان للاعتبارات السياسية أيضا أكبر الأثر فى إخفاق البعثة البولونية؛ ذلك أن الدول التى ضغطت على محمد على حتى يقبل الصلح مع السلطان، وضغطت على محمود الثانى حتى يتفق مع الباشا الثائر عليه، لتمنع الروسيا من بسط سيطرتها على تركيا، كانت حريصة على أن لا يعكر شىء صفو السلام الذى تم فى كوتاهيه، وأن لا يزعج الباشا الباب العالى أو حليفته الجديدة روسيا. وعرف الباشا شأن بولنده مع الروسيا، وأدرك تماما كما صرح بذلك إلى ميمو القنصل الفرنسى "أن وجود دمبنسكى فى خدمته سوف يلفت إليه الأنظار ويثير الشكوك من جهة نواياه السلمية". ومع ذلك فقد صمم الباشا على استخدامه، ولكن كان هذا فى يوليه ١٨٣٣، وبعد وصول دمبنسكى نفسه إلى الإسكندرية. بيد أن الموقف قد تغير فى الشهور القليلة التالية وبات من المنتظر فى بداية عام ١٨٣٤ أن يصل إلى مصر القنصل الروسى الجديد دوهاميل Duhamel، ويهم الباشا أن تظل علاقاته مع روسيا ودية، ولا يريد بسبب وجود البولونيين فى مصر، وبسبب "القضية" البولونية أن تحدث مشكلات جديدة قد تزيد الموقف تعقيدًا، فى وقت لم يدع دمبنسكى نفسه الفرصة تمر بدون أن يظهر عداءه السافر والمتطرف للروسيا، وعزمه على أن يتخذ من مصر- كما كتب القنصل الإنجليزى كامبل Campbell إلى حكومته (فى ٢١ يوليه ١٨٣٣)- "نقطة ارتكاز لتأليف جيش بولندى" استعدادًا لاستخدامه ضد الروسيا. بل أن دمبنسكى منذ أن وصل إلى الإسكندرية فى يوليه ١٨٣٣ وعلم بقرب حضور دوهاميل لم يتردد عن تقديم النصح إلى بوغوص حتى يمنع الباشا دخول القنصل الروسى إلى البلاد لما يترتب على هذا العمل من آثار عظيمة فى نفوس المسلمين قاطبة كما قال "واتجاه الأنظار جميعها صوب محمد على كرجل المستقبل الذى يتم على يديه تخليص تركيا". ولذلك كان كل ما أمكن الباشا أن

يوافق عليه فى هذه الظروف هو استقدام عدد محدود من البولونيين يستخدمون "كتعليمجية" فى الجيش مثلهم فى ذلك مثل بقية الضباط فى جيشه من الأمم الأخرى.

على أنه لسوء حظ البعثة، لم تلبث أن ترددت الإشاعات عقب وصول دمبنسكى إلى الإسكندرية بعد مقابلته مع إبراهيم باشا، بأن هناك حوالى أربعمائة جندى على وشك مغادرة مرسيليا فى طريقهم إلى مصر. وهى إشاعات روجها بعض البولونيين أنفسهم المنشقين على دمبنسكى من ناحية، وبعض اليونانيين الذين كانوا فى خدمة روسيا، وغير هؤلاء أيضًا. ثم قويت هذه الإشاعات حتى تناقلها قناصل الدول أمثال ميمو وكامبل، لدرجة أن دمبنسكى نفسه كاد يعتقد بصحتها. فغضب الباشا وأرسل أوامره المشددة لمنع هؤلاء البولونيين من النزول فى الأراضى المصرية إذا حضروا، كما أمر بإعداد سفن لنقلهم على نفقته والعودة بهم إلى أى ميناء جاءوا منه. وساء دمبنسكى إصدار هذه الأوامر التى رأى فيها إهانة لمواطنيه، وقرر عدم البقاء فى مصر، والاستقالة من خدمة الباشا. وعبثًا حاول الباشا إقناعه عن طريق بوغوص بأن عدم قبول هؤلاء الجنود لعدم إغضاب الروسيا أو الحكومتين الفرنسية والإنجليزية، لا يغير شيئًا من موقف دمبنسكى، ثم طلب إليه البقاء فى خدمته، ولكن دمبنسكى أصر على ترك الخدمة. ومع ذلك فقد كان من رأى كامبل أن صدور أوامر الباشا القاطعة فى هذه المسألة فى الوقت الذى وصل فيه دوهاميل فعلا إلى الإسكندرية ١٣ يناير ١٨٣٤، كان من حسن حظ الباشا، لأن دوهاميل كما علم كامبل كان يحمل تعليمات من حكومته "بالضغط" على محمد على كى يخرج دمبنسكى وجميع البولونيين من خدمته. وكان من المحتمل أن يرفض محمد على إجابة هذه الرغبة حتى لا يقال عنه إنه يخشى الروسيا وكذلك محافظة على مركزه فى الأمة العثمانية.

وفى أبريل ١٨٣٤ غادر دمبنسكى الإسكندرية، فوصل مرسيليا فى ١٧ أبريل، وبذلك تكون قد انتهت البعثة البولونية. وقبل مغادرته الإسكندرية كتب دمبنسكى

إلى محمد على فى ٢ مارس ١٨٣٤ يقول ضمن خطاب أوجز فيه مشروع تنظيم الجيش: "إن جيش جنابكم العالى فى حاجة إلى رجل ماهر حتى يستطيع تنفيذ المشروع الذى وضعته لتنظيمه، وينبغى أن يحدث هذا بكل سرعة ممكنة. فقد عملتم جنابكم العالى كثيرًا حتى توجدوا جنودًا، ولكنكم لم تفعلوا شيئًا تقريبًا لتشكيل وتنظيم جيش والمحافظة عليه وتوحيده والتأكد من الوسائل التى بفضلها يستطاع إمداده بالرجال من غير أن يلحق الأذى والخراب بالبلاد، وإعداد القواد (الجنرالات) لقيادته". ومن الواضح أن ما يعنيه دمبنسكى كان افتقار الجيش إلى هيئة أركان حرب منظمة وفعلية قبل أى شىء آخر.

ومع ذلك فإن خروج البعثة البولونية من الميدان لم يؤثر شيئًا فى مستقبل النظام الجديد كما قال ميمو القنصل الفرنسى سليمان باشا الفرنساوى ذلك الرجل الذى تم بفضل جهوده زيادة عدد الجيش وتشكيل هيئة أركان الحرب. ومما يجدر ذكره أن أحدًا لم يساوره شك فى أن الجيش المصرى منذ أن انتهت الحرب الشامية الأولى قد أخذ يتأخر بطريقة ظاهرة لدرجة أن سليمان الفرنساوى نفسه- كما يقول دوهاميل فى رسالة بعث بها إلى حكومته فى ٩ مايو ١٨٣٤، أى بعد مغادرة دمبنسكى البلاد بشهر واحد. كان من رأيه أنه إذا استمر الحال على ذلك، فإن الجيش لا يلبث أن ينهار تمامًا فى ظرف ثلاث أو أربع سنوات. وكان من الواضح أن نقطة الضعف الكبيرة فى هذا الجيش، حاجته الملحة إلى الضباط الماهرين. وقد بنى دمبنسكى مشروعه على ضرورة تأليف هيئة أركان حرب تضم إليها نخبة من كبار الضباط القادرين أراد أن يستقدمهم من بين المهاجرين البولونيين، وهو "الإصلاح الذى رفضه إبراهيم باشا فى الظروف التى سبق ذكرها". أضف إلى هذا أن قوة الجيش العامل كانت لا تتناسب مع عدد سكان البلاد، ولم يتوقع المختصون مهما اشتدت أساليب المسئولين فى تجنيد الرجال أن يتمكن هؤلاء من ملء الفراغ الذى يحدث فى صفوف الجيش دائمًا وهو فراغ كان دمبنسكى يعزوه إلى انعدام التنسيق فى أعمال ونشاط فرق الجيش وألاياته المختلفة، وبالتالى لعدم وجود هيئة أركان

حرب منظمة مدعمة، الأمر الذى أدى إلى تحمل الجيش خسارة عظيمة فى الأرواح والعتاد دائمًا. وزيادة على ذلك فقد كان الاضطراب وعدم النظام منتشرًا فى جميع فروع الخدمة العسكرية. وعلى ذلك فقد كتب دوهاميل فى رسالته المذكورة (٩ مايو ١٨٣٤): "إن الجميع فى القاهرة مهتمين بالتنظيم الجديد للجيش، وهو التنظيم الذى أظهر دمبنسكى شدة الحاجة إليه فورًا ومن غير إمهال".

بيد أن التنظيم الجديد كان فى الحقيقة محدودًا، فظل ديوان الجهادية على الرغم من وجود النظار الأكفاء أمثال أحمد باشا يكن وخورشيد باشا عبارة عن أداة سكرتارية، أكثر من أى شىء آخر، كما كان العهد به فى أول الأمر مزدحمًا بالكتبة- وكان هؤلاء من القبط الخبيرين بالأعمال الحسابية- الذين كانوا يهملون قيد أكثر المسائل وحلولها- وأما هيئة أركان الحرب فقد بقيت كذلك على حالها، وكل ما هو معروف عن تنظيمها فى هذه الفترة لا يعدو اختيار سليمان بك الفرنساوى فى عام ١٨٣١ لرئاستها، وقد رقى سليمان الفرنساوى فى عام ١٨٣٣ إلى رتبة ميرمدان وأعطى الباشوية بعد انتصار قونية. ولعل عدم تنظيم هيئة أركان الحرب بالشكل الذى يمكنها من أداء المهمة التى تضطلع بها هيئات أركان الحرب فى تعبئة الجيوش وعلى النحو الذى أشار به دمبنسكى، وكان أخطر نواحى النقص فى هذا التنظيم الجديد. وقد ظهرت آثار هذا النقص بوضوح عندما كثرت خسائر الجيش فى حملاته الأخيرة فى أثناء الحرب السورية الثانية، واضطرار قائده الأكبر إبراهيم باشا إلى التقهقر من الشام.

يقابل ذلك أن العناية بزيادة الجيش العامل كانت كبيرة بسبب الحاجة الظاهرة إلى الجند لإرسالهم إلى سنار وكردفان وبلاد العرب والشام، فبلغ عدد الجيش البرى ١٥٠ ألفا فى عام ١٨٣٩، وهذا عدا القوة غير النظامية التى بلغت ٢٢ ألفًا وكذلك استمرت العناية بالمدفعية وتولى أدهم بك الإشراف على مصانع القلعة؛ وكان يعاونه الضابط الأسبانى سيجويرا Antonio Seguera أو سكويرابيك وغيره من الضباط الفرنسيين، وقد عهد إلى سيجويرا بالإشراف

على مدرسة المدفعية بطره حتى عام ١٨٣٦ ثم خلفه خليل أفندى ثم الضابط الفرنسى برونو .Brunhaut وفى عام ١٨٣٧ كان لدى الباشا أربعة ألايات مشاة مدفعية وألايان من المدفعية الراكبين وأورطة مدفعية للحرس. وكذلك زيد عدد ألايات الفرسان، فبلغ فى عام ١٨٣٧ أيضا خمسة عشر منها ألايان الحرس. وتأسست مدرسة المهندسخانة فى بولاق فى مايو ١٨٣٤ لإعداد المهندسين العسكريين الفنيين بدلا من فرق البلطه جى الذين اعتمدت عليهم ألايات المشاة فى إقامة الجسور والكبارى وتجهيز الألغام، وهذا إلى جانب استخدام خريجى هذه المدرسة (ومدرسة الهندسة التى تأسست قبل ذلك منذ ١٨١٦) فى أعمال حفر القناوات والرى وما إلى ذلك.

ولما كان نشاط هؤلاء محدودًا فقد ظل الجيش فى الحقيقة فى حاجة ظاهرة إلى الضباط المهندسين أو لجنود المختصين بأشغال الاستحكامات وإنشاء الكبارى وغير ذلك.

والواقع أن الجيش المصرى فى هذه الآونة كان ينقصه الضباط المدربون الأكفاء. قال الجنرال فيجان "كانت فرق الجيش جيدة، ولو أن مظهرها لم يقنع تمامًا أولئك الأوربيين الذين تعودوا على مشاهدة الجندى الفرنسى أو الألمانى بمظهره الفخم وهو يتقلد أسلحته، غير أن المهم حقيقة هو أن هذا الجيش قاتل جيدًا وأحرز سلسلة طويلة من الانتصارات، وصمد فى وجه الهزائم بنشاط، الأمر الذى يجعله يزهو مفتخرًا بذلك كله، ولا يجب أن يغيب عن ذهننا لمجد هذا الجيش وفخاره أن حكومة شارل العاشر فكرت فى طلب معاونته عندما جهزت حملتها ضد الجزائر. ولكن فرق الجيش أو الجنود؛ لم يعرفوا ولم يريدوا أن يبلغوا ذلك المستوى الذى وصلت إليه الأداة التى فى أيديهم، فقد كتب الملازم فافيه Faviers فى عام ١٨٣١ "أن الضابط التركى كان يعتقد أنه إنما ينقض شريعة أو عقدًا إذا هو سمح لنفسه بأقل رغبة فى الوقوف على معلومات ومعارف جديدة، وكثيرًا ما شاهد الإنسان بعض ضباط المشاة يرفضون بعناء السير بخطوات منظمة، بل كانوا يسيرون كما يشاءون، كما لو كانوا يتنزهون على

رأس الكتائب أو الطوابير. وأما الفرسان فكان هناك كوكبات على الخيول مع ضباطهم يجهلون مبادىء الفروسية الأولية". وكذلك قال الضابط دى بفور دوتيول De Beaufort d,Hautpoul فى عام ١٨٣٥ "إن عناصر هذا الجيش طية جدًا ولكن لا يوجد قواد أو ضباط مثقفين، وأما صغار الضباط فيكادون لا يعرفون شيئًا" وبالاختصار كما استمر الجنرال فيجان يقول كان الرئيس لا يقدر المرءوس (أى الجندى) ولا يشعر بحب نحوه أو اهتمام بأمره، ومن الوجهة الأدبية كان الرئيس هو الذى يتبع المرءوس بدلا من أن يسبقه، ويكون له فى كل زمان ومكان قدوة حسنة ومثالا يحتذى به، وهذا كان أحد أسباب الضعف الذى يجب إظهاره، لأنه كان من المتوقع فى آخر الأمر إذا اختفى أولئك الذين أحيوا الجيش وأوجدوه أن يصبح هذا من العوامل التى تعرض جهودهم الجبارة إلى العطب والتلف".

ومع ذلك، ومهما يكن من أمر هذا القول ومبلغه من الصحة واتفاقه فى بعض نواحيه مع ما ذهب إليه الجنرال دمبنسكى عندما انتقد الجيش المنتصر فى الشام، ذلك الجيش الذى كان يسير حثيثًا فى طريق المجد والشهرة، فقد أبلى هذا الجيش أو النظام الجديد بلاء حسنًا فى جميع المعارك التى اشترك فيها بشهادة جميع المعاصرين، ومنهم أولئك الذين كانت تحدوهم فى الحقيقة الرغبة الصادقة عند توجيه انتقاداتهم ليصل الجيش إلى درجة الكمال التى ينشدها محمد على نفسه.

أما مصادر البحث فكثيرة متنوعة ومنها هذه الإشارات التى نجدها فى بعض كتابات المعاصرين، وأكثرها إشارات عابرة، بينما تذخر جميعها بأخبار الجيش فى عصر محمد على. ولذلك فقد اكتفينا بذكر المصادر التى تتصل مباشرة بالموضوع. وفيما عدا هذا نود أن نشير إلى الكتب العربية التى تناولت نشاط الجيش وتنظيمه، ولو أنها أغفلت كذلك ذكر البعثة البولونية. ومن أهم هذه الكتب مؤلفات المرحوم الأمير عمر طوسن وهذه كثيرة، وكذلك مؤلف الأستاذ المؤرخ البمباشى عبد الرحمن زكى: الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا

الكبير. القاهرة ، ١٩٣٩ ثم مؤلف زميلنا الباحث والمؤرخ الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى عصر محمد على القاهرة ، ١٩٣٨ وهذا سفر قيم لا غنى عن الرجوع إليه للوقوف على تاريخ المدارس التى أنشئت لتزويد الجيش بالضباط والأخصائيين فى مختلف الفنون.

وأما أهم المصادر الأجنبية فمنها:

BENIS (ADAM GEOBGES). - Une Mission Militaire Polonaise En Egypte (2 Vols). Cairo 1937.

BORORING (J). - Roport on Egypt and Candia. London 1810.

CATTAUI (R). - Le Régne De Mohamed Aly D,aprés les Archives Russes En Egypte. Tome II. (Premiére Partie). Roma 1933.

DOUIN (G). - Une mission militaire francaise auprés de Mohamed Aly Cairo 1923.

MARMONT (MARECHAL) - Voyage du M. M. due de Raguse etc (4 vols) Paris 1837.

MARRO (G), -.II Corpo Epistolare Di Bernardins Drovelti.(Volumo Prims). Roma 1940.

VINGTRINIER. (A.) - Soliman. Pacha etc, Paris 1886.

WEYGAND (LE GÉNÉRAL).- Histoire militaire de Mohammed Aly et Ses Fils. (2 vols.) Paris 1936.

PLANAT.(J) - Histoire de la regénération de l,Egypte.etc. Paris 1836.